سلسلة عرض وتقديم أعلام الفكري الإسلامي المعاصر من البوسنة والهرسك (١)

قراءة تربوية نقدية في كتاب:

البوسنيون وتحديات الحداثة في المرحلة الأخيرة من الخلافة العثمانية وعهد المملكة الأسترو – هنغارية

تأليف

أ.د.فكرت كارتشش

تقديم ومراجعة

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

جامعة طيبة – المدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

2009

ⓒ خيرالدين بافقي خوجه ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

كارجيتش ، فكرت

قراءة نقدية في كتاب البوسنيون وتحديات الحداثة ..... / فكرت كارجيتش ؛ خيرالدين بافقي خوجه – المدينة المنورة ، ١٤٣٠هـ

٤٠ ص ؛ ١٤×٢١ سم

ردمك : ٠-٢٤٠٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- البوسنة – تاريخ – العصر العثماني ٢- الإسلام – البوسنة والهرسك أ- خوجه ، خيرالدين بافقي (مراجع) ب – العنوان

ديوي ٩٤٩,٧٤٢ ١٤٣٠/٢٥٩٠

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٢٥٩٠

ردمك : ٠-٢٤٠٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى : رجب ١٤٣٠هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطابع الرشيد ٩٢٠٠٠٠٧٨٩

تمهيد		٢
المبحث الأول	التعريف بالمؤلف و جهوده العلمية	٤
المبحث الثاني	ملخص محتويات الكتاب	٩
المبحث الثالث	الجوانب الايجابية لهذا الكتاب	١٧
المبحث الرابع	بعض الجوانب السلبية للكتاب	٢٦
المبحث الخامس	النقد الخارجي للكتاب	٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، ثم أما بعد:

فهذه قراءة تربوية نقدية لهذا الكتاب القيم المفيد لأستاذي ومشرفي الفاضل في رسالتي الدكتوراه؛ الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش حفظه الله ورعاه و جعل جنة الفردوس مثواي ومثواه، والذي نحن المسلمين بأمس الحاجة إلى معرفة تفاصيله وقضاياه مثل؛ التعايش السلمي مع أهل الكتاب وأتباع الديانات الأخرى، والخدمة العسكرية لأبناء المسلمين في ظل الحكومة الكافرة، وجوب الهجرة من دار الحرب إلى الإسلام، والفتاوى العصرية وضوابطها والانفتاح إلى الثقافات الأخرى..الخ. التي تناولها الأستاذ الجليل حفظه الله في هذا الكتاب.

إن الكتاب المذكور في الأصل قد كتب باللغة الإنكليزية وطبع في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك، وقد قمت بقراءته ونقده والتعليق عليه ببعض الفوائد باللغة الإنكليزية، ثم شاء الله عز وجل أن أترجم هذا البحث بنفسي إلى اللغة العربية تتميماً للفائدة العلمية وإسهاماً للمكتبة العربية. وقد جعلت هذه الدراسة في خمسة مباحث تسهيلاً للقارئ الكريم، والذي أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وجهوده العلمية

الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش Fikret Karcicمن مواليد البوسنة الشرقية من بلدة ويشغراد Vishegrad. ولد سنة ١٩٥٥م. أنهى دراسته الثانوية الشرعية في مدرسة غازي خسرو بك Gazi Husrev Beg الإسلامية المشهورة والعريقة في سراييفو. التحق بالجامعة الحكومية في سراييفو وتخرج من كلية القانون. حصل على الماجستير سنة ١٩٨٥ م من جامعة بلغراد Belgrade University عاصمة يوغوسلافيا السابقة. حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة سنة ١٩٨٩م، متخصصاً في القانون. مارس مهنة التدريس في الكلية الإسلامية في سراييفو. ثم انتدب مدرساً إلى جامعة مرمرا التركية Marmara University، حيث درس في كلية الإلهيات. ثم اتندبته إلى الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، حيث عمل أستاذاً في قسم الفقه وأصوله قرابة عقد من الزمن (عشر سنوات)، حيث درس فيها عديداً من المواد مثل: **الإسلام والحداثة،** Islam and Modernity **ومناهج البحث** Research Methodology وغيرها لطلبة الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. ونظراً لشهرته وجهوده الفكرية المضنية، وكتاباته العلمية المختلفة، شعرت الكلية الإسلامية في سراييفو بالحاجة الماسة إليه وطلبته بالعودة إلى مسقط رأسه، مما اضطر إلى مغادرة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في عام ٢٠٠٣م، تاركاً وراءه اثاراً وذكريات خالدة في نفوس أبنائه الطلبة وزملائه الأساتذة أعضاء هيئة التدريس.

للأستاذ الدكتور فكرت كارتشش العديد من المؤلفات و الكتب، نذكر منها ما يلي:

١- **المحاكم الشرعية في يوغوسلافيا ١٩١٨ – ١٩٤١**، نشر في سراييفو سنة ١٩٨٥م بالإنكليزية.

٢- **المظاهر الاجتماعية والقانونية للتجديد الإسلامي**، نشر في سراييفو سنة ١٩٩٠م بالإنكليزية.

٣- **دراسات في القانون الإسلامي**، نشر في سراييفو سنة ١٩٩٨م بالإنكليزية.

٤- **النظام الإسلامي في المجتمعات المعاصرة**، بالاشتراك مع غيره.نشر في سراييفو سنة ١٩٩٨م بالإنكليزية.

٥- **تاريخ القانون الإسلامي في البوسنة والهرسك**، نشر في استانبول سنة ١٩٩٣م بالعربية والتركية.

٦- **مكتب رئيس العلماء (المفتي) في المشيخة الإسلامية عند البوسنيين**، نشر سنة ١٩٩٧م.

٧- **دور مكتب النواب في سراييفو وإسهامات علماء البوسنة في التربية الإسلامية**، بحث نشر في مجلة البحوث والأخبار في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، سنة ١٩٩٦م.

٨- **تاريخ مكتب المفتي في الأراضي البوسنية**، بحث منشور سنة ١٩٨٧م في التقويم الإسلامي في سراييفو.

٩- **البوسنيون وتحديات الحداثة أو العصر الحديث – في عهد الخلافة العثمانية الأخيرة و عهد المملكة الأسترو – هنغارية**، نشر في سراييفو سنة ١٩٩٩م، وهذا هو الكتاب الذي بين أيدينا.

١٠ – **دراسات إسلامية – الإسلام في البلقان**، بحث نشره معهد مركز البحوث في إسلام آباد، ١٩٩٧ م.

بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التي لم نطلع عليها ولم تصل إلينا، وقد بلغنا أنه صدر له بعض الكتب الأخرى في الآونة الأخيرة. أضف إلى ذلك مشاركاته الفعالة في الكثير من الندوات والمؤتمرات العالمية في مختلف البلاد الأوربية. يشغل حالياً منصب الأستاذ في الكلية الإسلامية في سراييفوا وفي كلية القانون في الجامعة الحكومية في سراييفو. والأستاذ الدكتور فكرت كارتشش متزوج وله ثلاثة أولاد، حمزة وهارون وحكمت. أما حمزة فهو طالب في الجامعة الأمريكية في استانبول، وأما هارون فهو أيضا طالب في الجامعة الإسلامية في ماليزيا. وأما حكمت فهو في المدرسة المتوسطة في سراييفو.

المبحث الثاني: ملخص محتويات الكتاب

الكتاب الذي بين أيدينا: Bosniaks and the challenges of modernity – Late ottoman and Hapsburg time – **البوسنيون و تحديات الحداثة – في المرحلة الأخيرة للدولة العثمانية و الحكم الأسترو – هنغاري للبوسنة**.

يحسن بنا أن نذكر في البداية ملخص ما ورد في هذا الكتاب. لقد حاول المؤلف قصارى جهده تحليل تأثير موجة الحداثة وإدخال فكرة الإصلاحات الإدارية المسمى بـ: **التنظيمات الإدارية**، على الشعب البوسني خلال فترة الحكم العثماني وأسترو(النمساوي) – هنغاري لتلك البلاد. كما أنه حاول أن يدرس موقف العلماء والمفكرين البوسنيين تجاه هذه القضية الدينية والاجتماعية. فكما هو معلوم تاريخياً أن الإمبراطورية العثمانية حكمت في الأراضي البوسنية في الجزيرة البلقانية من سنة ١٤٦٣م – ١٨٧٨م. و قبل انهيار الدولة العثمانية قرابة نصف قرن، قبلت الدولة العثمانية فكرة إدخال الإصلاحات الإدارية والعسكرية في القانون العثماني، وتقديم التنازل عن إدارة بعض البلاد أو الولايات التي كانت تحكمها، بسبب الضغوط السياسية الأوربية عليها. بسبب ضعف الدولة العثمانية والضغوط الدولية عليها، فقد قبلت أن تحكم الأراضي البوسنية المملكة النمساوية الهنغارية. هذه الإصلاحات من المملكة النمساوية (الكاثوليكية) فُرضت على مسلمي البوسنة تارة بالاحتلال العسكري المباشر وتارة سلكت مسلك التدرج في حياتهم الاجتماعية. والتاريخ البوسني مرت من خلال أربعة مراحل أو أنظمة تاريخية مختلفة إلى يومنا هذا.

١ – من سنة ١٤٦٣م – ١٨٧٨م كانت تحت الحكم العثماني.

٢ – من عام ١٨٧٨م – ١٩١٨م كانت تحت حكم المملكة النمساوية الهنغارية.

٣ – ومن ١٩١٨م – ١٩٤١م كانت تحت المملكة اليوغسلافية الصربية.

٤ – وخلال الأعوام الأربعة للحرب العالمية الثانية انضمت البوسنة إلى الحكومة الكرواتية المستقلة، ومنذ سنة ١٩٤٥م – ١٩٩١م ظلت البوسنة تحت حكم الدولة الفيدرالية الإشتراكية اليوغسلافية.

٥ – و في سنة ١٩٩٤م – ١٩٩٥ م و بعد الحرب الدامية مع النظام الصربي الفاشي والمجازر الوحشية واللانسانية التي حدثت من قبل الصرب في حق المسلمين البوسنيين، حصلت البوسنة على استقلالها.

إن طبيعة الإصلاحات العثمانية والتي قدمت من أوربا الحديثة، ركزت في الدرجة الأولى على تغيير نوعية وطريقة اللباس العسكري العثماني، ولأن السلطات النمساوية الهنغارية لم تكن تريد أن تصطدم مع مشاعر و عادات المسلمين في البوسنة. ثم تدريجاً بدؤوا بالتغيير في قانون الأحوال الشخصية والطرق القضائية والوسائل التربوية. كل هذه التغييرات تمت و تحققت خلال عام ١٨٦٠م. ولكن مع ذلك فقد وقعت صدامات واشتباكات بينهم، ولقيت القوات العثمانية الخاصة تحت الحكم الأسترو – هنغاري مقاومة شرسة من أبناء المسلمين البوسنيين خلال سنة ١٨٥١م، حيث راح ضحيتها آلاف الأشخاص.

مع مجيئ العالم والمفكر العثماني المشهور أحمد جودت باشا Ahmed Xhevdet Pasha إلى منصة الحكم، فقد استطاع بالتدرج أن يتوصل إلى عقول العلماء البوسنيين ووعيهم الديني والثقافي من خلال تأكيده على ضرورة قبول فكرة الحداثة أو الحياة الحديثة الغربية ضمن الإطار أو المنظور الإسلامي. وبعد اقتناع البوسنيين بهذه الفكرة، فرض عليهم النظام الجديد فيما يخص تقسيم الأراضي البوسنية و مدنها وقراها على شكل الولايات، ثم تبع ذلك بتأسيس المحاكم القضائية الإسلامية، ففتحت مدارس جديدة ابتدائية، وانتشرت دور الطباعة والنشر و الحركة العلمية و الثقافية..الخ.

مع هذا الازدهار الكبير للبوسنة في الجانب الأدبي والثقافي، بعض العلماء والمفكرين البوسنيين، المتحفظين والمعارضين لفكرة الإصلاحات الحديثة، جملة وتفصيلاً ولتغيير نمط وطريقة الحياة البوسنية العثمانية، فقد أبدى هؤلاء استياءهم وحدث منهم ردود أفعال كثيرة ووقوف أمام تحديات كبيرة. ويمكننا من خلال تناولنا لبعض تلك القضايا المهمة والتي شكلت تحدياً كبيراً أن ندرك مدى خطورة وحجم تلك التحديات:

المسألة الأولى: فقد اختلفوا فيما بينهم في جواز الهجرة أو البقاء تحت حكم الحاكم الكافر، (مملكة الأسترو –هنغارية). الثانية: اختلفوا ايضاً في جواز الخدمة الاجتماعية والعسكرية تحت ظل الدولة الكافرة.

الثالثة: الخلاف حول جواز تأسيس منظمة إسلامية تهتم بالعلاقات الإسلامية والأوربية، ذات اتصال وثيق بمؤسسات الدولة العثمانية.

وفيما يخص مسألة الهجرة والخدمة العسكرية، فقد تباحث العلماء والمفكرون البوسنيون فيما بينهم هذه القضايا المهمة في المصادر الدينية والرسائل العلمية التي ألفت في هذا الشأن، وفتاوى العلماء حول هذه القضايا الجديدة، وقاسوا حالات متشابهة التي وقعت في الماضي بتلك التي استحدثت في زمانهم. و هكذا استطاعوا أن يجدوا حلولاً لمشاكلهم الإجتماعية و الدينية.

إن دور العلماء البوسنيين للحفاظ على الهوية القومية البوسنية والدينية كان عظيماً. فمثلاً في قضية الهجرة والتخلي عن أراضيهم بسبب الحكم الأسترو –هنغاري لها، فقد ذهب هؤلاء العلماء إلى القول بعدم جواز الهجرة وحرمة ذلك، ورأوا أن الخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة أفضل من هجرة أبناء البوسنة والتخلي عن أراضيهم وتفريغها لغير المسلمين. ولا شك أن هذا الموقف كان قاسياً على أبناء البوسنة، لأنهم بالأمس كانوا يحاربون جيوش الأسترو-هنغارية عندما كانت الدولة العثمانية قوية و حاكمة، أما اليوم فكيف يمكن أن يُخدم هؤلاء الأعداء !! ؟؟.

والقضية الأخرى المهمة فيما يخص المنظمات المؤسسية التعليمية، فقد سمح للمسلمين بتشكيل المحاكم الشرعية، كما تم تعيين المفتي الجديد لمدبنة سراييفوو ما جاورها من القرى. وطبقاً لهذه الإصلاحات الإدارية الدينية، فقد أصدر هذا المفتي الجديد قراراً بتشكيل مراكز دينية في المحافظات الأخرى في البوسنة والهرسك، شريطة أن تكون هذه المراكز الدينية (**المشيخات الإسلامية**) منفصلة تمام الانفصال من مكتب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، و التي كان مقرها في استانبول.

فيما يخص حياتهم الاجتماعية فقدد حدثت هناك تغييرات وإصلاحات أخرى في مجال المواصلات والصناعة أيضاً. فقد تطورت وازدهرت كثير من المدن البوسنية. وفي مجال التربية

فتحت مدارس حديثة من نمط جديد. الأبجدية واللغة العربية قد تغيرت بسبب شدة اهتمام الشعب البوسني بالقراءة والكتابة الحديثة.

وفيما بعد برزت الأحزاب السياسية الأولى في بدايات ١٩٠٠م، في المجتمع البوسني متعددة الأديان والأعراق، (الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك، والبوسنيون المسلمون).

في ظل هذه الظروف الراهنة ظهرت حركة دينية إسلامية قوية، فبدءوا بترجمة الكتب والبحوث الإسلامية المكتوبة من كبار العلماء المصلحين في البلاد العربية.

وأخيراً فإن مؤلف هذا الكتاب أثبت أن المسلمين البوسنيين اختاروا المنهج الانتقائي من الثقافة والحداثة الأوربية فيما يتوافق مع التعاليم الدين الإسلامي ولا يتعارض مع مبادئه، محافظين على هويتهم القومية وعقيدتهم الإسلامية دون أن يخسروا شيئاً من الدين أو الدنيا معاً.

المبحث الثالث: الجوانب الإيجابية لهذا الكتاب

إن كتاب: **البوسنيون وتحديات الحداثة**، غير كثيراً من أفكاري وآرائي الشخصية فيما يخص المجتمع البوسني والخلافة العثمانية. ودون أدنى مبالغة سأحاول بإذن الله تعالى تسجيل بعض الانطباعات والملاحظات التي خرجت بها من خلال قراءتي وتحليلي لهذا الكتاب القيم.

على رأس تلك الإنطباعات ما يخص المجتمع البوسني عموماً وحياته الثقافية والدينية، فمنذ أيام طفولتي ونظراً للنظام العلماني الشيوعي اليوغسلافي التي كنا نعيشه في حينه، فقد سمعت كثيراً من الناس يقولون: *بأن البوسنيين هم حلفاء الصرب، لأنهم يشاركونهم في لغتهم، وأيضاً هناك حالات زواج كثيرة بين البوسنيين المسلمين والصرب الأرثوذكس، كما أنني سمعت بأن المسلمين البوسنيين يتعاطون شرب الخمر و المخدرات. وأسوأ من ذلك و أدهى و أمرّ، فقد بلغني أن كثيراً من البوسنيين كانوا لا يبالون أيضاً بأكل لحم الخنزير عندما كانوا يخدمون الخدمة العسكرية أيام النظام الشيوعي اليوغسلافي، و أنه لم يكن هنالك فرق بين بوسني وصربي..*الخ، من التهم والافتراءات المبالغة في حق ذلك الشعب المسلم. هذه الانطباعات السيئة عنهم استقرت في ذاكرتي منذ أيام طفولتي وكان عمري آنذاك لا يتعدى أربعة عشر عاماً.

شعرت فيما بعد وأدركت بأنه كان هناك سوء فهم عندي حول المجتمع البوسني بسبب تحريض بعض الأساتذة والمعلمين الشيوعيين والمتعصبين الجهلة من الألبان، الذين كانوا يعلموننا في المدارس الابتدائية والمتوسطة.

أقول وبالله التوفيق والهداية، إنه من الطبيعي أن يوجد هناك أشخاص منحرفين ممن يقترف تلك الآثام أو يتلبس بتلك المعاصي في كل المجتمعات، سواء الإسلامية منها أو غير إسلامية، ولكن هذا لا يدل عقلاً و لا شرعاً أن المجتمع بأكمله متلبس به. فهذا المعيار في تقويم الناس والمجتمعات يجب أن يكون واضحاً عندنا، نحن المسلمين، بأن خطأ فرد من أفراد الأمة، لا يدل ذلك على تلبس الأمة وتشبثها بذلك الخطأ.

هذا الكتاب الذي قضيت فيه أياماً عديدة حتى قرأته وفهمته، قدم لي فهماً جديداً عن المجتمع البوسني المسلم، كما أنه أول كتاب أقرأ فيه عن الدولة العثمانية وتاريخ البوسنيين وجهة النظر الإسلامية.

أما فيما يخص منهجية وموضوعية الكتاب والمؤلف حفظه الله، فحدث ولا حرج. فقد أجاب الأستاذ الدكتور على الأسئلة المطروحة في بداية كتابه، مثل:

١- *ما صورة وخطة الحداثة التي كانت تناشد بها المملكة الاسترو – هنغارية ؟*

٢- *ما المحتوى السياسي لفكرة الحداثة ؟*

٣- *من كان يشجع فكرة وقبول الحداثة ؟*

٤- *أثر هذه الفكرة في الجانب الاقتصادي والاجتماعي على الشعب البوسني؟*

٥- *وأخيراً استجابات و ردود علماء البوسنة وموقفهم من ظاهرة الهجرة والخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة؟*

فقد أجاب المؤلف الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش حفظه الله عن كل تلك الأسئلة المطروحة. وقد أطال الجواب والنفس على بعضها واختصر على البعض الأخر، طبقاً لطبيعة السؤال.

أثبت الأستاذ المؤلف في كتابه قوة إيمان المجتمع البوسني المسلم وثباته على المبادئ الدينية، وصلابته في مواجهة تحديات من خلال مرورها على مراحل تاريخية عديدة. هذا الثبات

مكنهم من تحديد واختيار مستقبلهم المنشود، بالانخراط والانضمام إلى قائمة الدول الأوربية وقبول ثقافتها في مجال الصناعة والاقتصاد والتعليم مع الحفاظ على دينه وعقيدته الإسلامية.

هذه القراءة النقدية التاريخية أكدت لنا المستوى العالي في الجانب التربوي الديني الذي كان يتمتع بها مفكرو وعلماء البوسنة رحمهم الله، كما أنها أثبتت لنا سعة أفقهم الثقافي والعلمي في التعامل مع القضايا الراهنة التي كانوا يواجهونها من خلال تطبيقهم للقواعد الشرعية والأصولية. كل هذه المعالم يمكن ملاحظتها إذا ما حللنا موقفهم من تلك التحديات الكبيرة التي واجهوها أيام حكم مملكة الأسترو – هنغارية لهم.

إن المجتمع البوسني المسلم كان خير مثال يُقتدى به في مثل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والدينية، وأنه فعلاً كان قدوة حسنة للمجتمعات الأخرى المسلمة في كيفية الحفاظ والثبات على الهوية الدينية الإسلامية حين يصطدم مجتمع ما، مع الحضارات والثقافات الأخرى الواردة أو المفروضة عليه.

يظهر رجاحة ونزاهة عقل المجتمع البوسني المسلم في تبنيهم للمنهج الإنتقائي Selective Methodology من الثقافة والحضارة الغربية، فيما هو الأصلح والأنسب لدنياهم من الناحية الصناعية والتكنولوجية والزراعية والتربوية. ولا شك أن هذا المنهج الأصيل وهذا الموقف النبيل، موقف سليم ووجيه، كما أشار إليه أيضاً العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه: **الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية** [1].

علاوة على ما ذكر، فإن هذا الكتاب قد رُسمت حدوده ونُسجت خيوطه من قبل عالم ومفكر راسخ في تاريخ البوسنة والهرسك وتاريخ الجزيرة البلقانية، قد ملك بناصية لغات الشرق والغرب، مما جعلنا واثقين بمحتوياته التاريخية وأن نزداد ثقة بما يقول ويذهب إليه، ولأنه فوق ذلك كله أدرى بشعبه من غيره، وأهل مكة أدرى بشعابها، وبناء على هذه الحقيقة فإنني أقترح على كل مثقف وطالب علم أن يقتني نسخة من هذا الكتاب، إذا ما أراد الفهم الحقيقي لتاريخ الشعب البوسني المسلم، فإنه مصدر أساسي لا يستغنى عنه البتة.

---

١ انظر: الندوي، أبو الحسن: **الصراع بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية**، ص١٥

لم يكن الأستاذ المؤلف حفظه الله يتصف بالتعصب في مناقشة الآراء التاريخية. كان جل اعتماده على المصادر والوثائق التاريخية الأصلية للشعب البوسني. كان متزناً وموضوعياً في آرائه. هناك ارتباط شديد بين عنوان الكتاب وأفكار الكتاب ومحتوياته ومباحثه التي عالجها ودرسها، وكيف لا يكون هناك ارتباط بين موضوعات وعنوان هذا الكتاب وسعادته قد درسنا مادة (مناهج البحث) لطلبة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، فهو قدوة حسنة في هذا المجال بلا نزاع.

كما أن فصول الكتاب ومباحثه كانت متسقة في الحجم والإطالة. لم ألاحظ انتحالاً لأفكار الكتاب، كان دقيقاً وأميناً في نقله من المصادر والمراجع وتوثيق ذلك في الحواشي، مما دل على أمانته العلمية والدينية الدقيقة، إلا في موضع واحد، فإن المؤلف الأستاذ فكرت لم يبين في الحاشية مصدر الكلام المقتبس بين القوسين [٢].

كان مهذباً في كلامه، متخلقاً بالأخلاق الإسلامية الفاضلة. تحاشى الألفاظ والكلمات البذيئة والجارحة في مناقشة الآراء. إن أسلوب كتابه كان بليغاً رصيناً جزلاً قوياً، مما يشهد على تمكن صاحبه من تلك اللغة (اللغة الإنكليزية) التي كتب بها الكتاب.

أما نتائج هذه الدراسة فقد جاءت مبنية على تلك الأسئلة التي وجهها الكاتب في بداية كتابه، وكان ناجحاً إلى حد كبير في استخلاص هذه النتائج. إن شخصية الكاتب الأستاذ في دراسته وتحليله لهذه القضايا الدينية والاجتماعية الحساسة كانت واضحة وبارزة، حيث هو الآخر ذهب إلى قبول فكرة الحداثة أو فكرة التنظيمات الحديثة، والأخذ و الاستفادة من الحضارة والثقافة الغربية [٣] مما لا يتعارض مع ديننا الحنيف في مجال العقيدة والأخلاق، كل ذلك وفق الشروط والضوابط الإسلامية دون الانفتاح المطلق [٤].

---

٢ انظر ذلك في ص ٥٢ من كتاب المؤلف

٣ و هذا الذي ذهب إليه أيضاً الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: (**أضواء البيان ص: ٨٢٥**)، من أن موقف المسلم المعاصر من الثقافة الغربية أمام أربع حالات لا خامسة لها: **١– أخذ نافعها و ضارها (أو حلوها ومرها)، ٢– ترك نافعها و ضارها، ٣– أخذ نافعها و ترك ضارها، ٤– و أخذ ضارها وترك نافعها**. و لا شك أن الموقف السليم و الصحيح و الذي يجب أن يتبناه المسلم أمام الثقافة والحضارة الغربية

المبحث الرابع: بعض الجوانب السلبية للكتاب

من القضايا المسلمة والمتفقة عليها: النقص من الصفات اللازمة للبشر، وأن الكمال المطلق يليق بالله جل وعلا، فهو وحده سبحانه المنزه عن النقص. انطلاقاً من هذه القاعدة، أقول: إنه من الطبيعي أن تكون هناك بعض المآخذ اللغوية والمطبعية والموضوعية على مؤلف الكتاب الأستاذ فكرت حفظه الله. وهذا لا ينقص مثقال ذرة من فضل وقدر الكتاب أو كاتبه. ولكن ما دمنا في صدد القراءة النقدية له، فإننا منهجياً ودينياً مطالبون ببيان وتوضيح تلك الملحوظات حيث إن الأمانة العلمية تقتضي ذلك، وإلا فلا.

أما الملاحظات والأخطاء المطبعية فإنها كانت قليلة وسنتحاشى وسنغض الطرف عنها في هذه الترجمة العربية، لأن الكتاب أصلاً مكتوب بالإنكليزية، ولأنه لا أرى مصلحة علمية في (بيان ذلك للقراء العرب). فمن يريد الاطلاع على ذلك فليراجع بحثي باللغة الإنكليزية.

أما فيما يخص الملحوظات العامة للكتاب، فمنها:

أولاً: أنه لم تكن هناك ترجمة ولو بسطر واحد لبعض الأعلام، مثل المفكر الإسلامي شكيب أرسلان، والشيخ المفسر رشيد رضا، والعلامة الإمام السرخسي و غير هؤلاء. بينما تجد الأستاذ المؤلف حفظه الله قد كتب ترجمة لمفتي سراييفو Mehmet Teufik Azapagic في ذلك الوقت. ولما تحدث عن مفتي مدينة موستار البوسنية Mustafa Sidki Karabek لم يترجم له الأستاذ المؤلف ترجمة ولو سطراً واحداً. وهذا خلل في المنهجية، كان من الأفضل السير على طريقة واحدة في ترجمة الأعلام، و الله أعلم.

هو: **أخذ نافعها و ترك ضارها**..أخذ نافعها في كل المجالات الدنيوية فقط، و التي لا تتعارض مع مبادئ الشريعة و أركان العقيدة الإسلامية والأخلاق و القيم الربانية.

٤ حول هذه المسألة الدينية و الثقافية المهمة..انظر: (**ثقافتنا بين الانفتاح و الانغلاق**)، لفضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، حيث ذكر فضيلته ضوابط وشروط الانفتاح نحو الثقافات الاخرى..فارجع إليه إن شئت، فإن فيه فوائد جمة.

ثانياً: كما أن الأستاذ المؤلف لم يترجم أيضاً لبعض الطوائف الإسلامية الضالة مثل طائفة الدروز. فإن القارئ البوسني والأوربي لكتابه في غالب الأحوال لا يدري من هم وأين يعيشون وما معتقدهم؟ فكان من المستحسن تزويد القارئ ببعض المعلومات عنهم حتى يكون على بينة من الأمر، وحتى لا يعيش القارئ مع بعض المصطلحات الغامضة الواردة في الكتاب. كما أنه كان من المفضل على الكاتب أن يبين مراده و هدفه من وراء استعمالات بعض المصطلحات الفلسفية، وما المقصود منها في كتابه، مثل كلمة: Rationalism – العقلية، و Naturalism – الطبيعية، و Scientific Positivism – الوضعية العلمية..الخ ، لأن لكل من هذه المصطلحات لها معانيها الخاصة في الفلسفة والتاريخ و العلوم الأخرى [٥].

ثالثاً : في حالات كثيرة غاب تحليل المؤلف لبعض الظروف التاريخية المهمة، ولو باختصار. فقد اكتفى بنقل الحدث التاريخي دون أي تعقيب عليه، سلباً أو إيجاباً. وهذا لا يستقيم منهجياً وحتى لا نكون مجرد نقلة. والذي أراه أنه من المستحسن أن يكون هناك تعليق يسير في نقل الأحداث التاريخية، حتى يرشد القارئ ما الذي يرمي إليه المؤلف، وما هو مقصوده من هذا الاستدلال التاريخي. هذه المنهجية حجبت المؤلف من الرد على بعض افتراءات الكفار ضد الإسلام والمسلمين، كما سنرى لاحقاً.

ونذكر مثالاً واحدا على هذا ذلك. فقد نقل المؤلف الأستاذ حفظه الله كلام العقيد الضابط General Josip Filipovic، صربي الأصل حينما قال ".. إن الشعب المسلم شعب بهيمي قذر بغيض ووحش، الذي لا يمكن أن يصل إلى الوعي الإنساني أبداً إلا بنزع السلاح من يده وتجريده كلياً، والتدرج في تغيير فكره ووعيه بالنار والحديد وقانون شديد.." [٦].

إن الكلام السابق الذي أدلى به ذلك المجرم الصربي، كلام خطير، يحمل في طياته معان خبيثة وتهماً شديدة للإسلام والمسلمين، ليس للشعب البوسني فقط و إنما للمسلمين عامة برمتهم. فكان لزاماً علينا كمفكرين أن نرد تلك الاتهامات على أصحابها وأن نبين الصواب في

٥ راجع كتابه، من ص ١٣ –٢٧

٦ أنظر كتاب المؤلف، ص: ٨٣

المسألة، وأن لا نخشى في الله لومة لائم، وهذا الذي لم نجده لدى المؤلف الأستاذ حفظه الله. فقد اكتفى بمجرد نقل تلك المقولة أو الحدث التاريخي، والله أعلم.

وهناك قضية أخرى أدهى وأمر، ربما فاتت عن الأستاذ المؤلف دون التعليق عليها حينما ذكر حالة حاكم البوسنة والهرسك : Hugo Kutscher المعين من قبل المملكة الأسترو – هنغارية، والذي حكم البوسنة لمدة اثنتين وعشرين عاماً، والذي كان يحتفظ في مكتبه بنسخة من المصحف الشريف، كما أنه كان يقرأ فيه، واعتاد أن يعقد في مقر إقامته المجالس الدينية مثل الاحتفال بالمولد النبوي وغيرها [٧]. فكان من الأفضل على الأستاذ المؤلف حفظه الله أن يعلق على هذا الحدث التاريخي وأن يبين على الأقل أن هذا التصرف من ذلك الحاكم الصربي المسيحي إنما هو تصرف شخصي سياسي بحت، لكسب قلوب العوام والجهلة من المسلمين، وأن هذا التصرف كان مكراً وخداعاً منه ولم يكن لصالح الإسلام والمسلمين. وإلا كيف يتصور أن يعقد النصراني مجلس احتفال مولد النبوي الشريف!!

هذه هي خطة غير المسلمين عندما يحتلون بلاد المسلمين، يتظاهرو بشيء من النفاق والدعاية، كأنهم إنما جاؤوا لصالح المسلمين!! هيهات..هيهات. هذه الحالة تشبه حالة المحتل نابليون بونوبارت عندما جاء لاحتلال واستعمار مصر، فقد حدثني بذلك أحد أساتذتي الفضلاء، بأن نابليون في بداية حكمه قال للشعب المصري أن مجيئه إليهم كان بقدر الله و قضائه !! فالبسطاء والعوام من المسلمين آمنوا بكلامه وظنوه أنه مرسل إليهم بتقدير من الله عز وجل، فاستسلموا له وأيدوه !!

فأعتقد أنه من واجب المفكرين والمؤرخين أن ينبهوا القراء على تلك الحيل التي يحتالون علينا أعداؤنا، والله أعلم.

بعض القضايا الدينية الكبرى مثل قضية الهجرة إلى الدول الكافرة، والخدمة الاجتماعية والعسكرية في ظل الحكومة الكافرة، و قضية الخلافة العثمانية وأسباب سقوطها وانهيارها، و واقع المسلمين وآمالهم لاستعادتها مرة أخرى، والحركة الإسلامية العامة والشاملة Pan Islamism وغيرها من القضايا الواردة في الكتاب... أقول تلك القضايا المهمة قد نوقشت

٧ المرجع السابق، ص : ٨٥

باختصار شديد، وكان من الأولى والأفضل على الأستاذ أن يفصّل القول فيها أكثر، وأن يشير إلى أن هذه الظروف التي واجهها مسلمو البوسنة والفتاوى التي صدرت من بعض العلماء الكبار المهتمين بقضايا المسلمين في البوسنة في جزيرة البلقان مثل الشيخ رشيد رضا وغيره، قد لا تعمم على بقية المسلمين في العالم، إلا إذا واجهوا نفس الظروف ونفس التحديات، فحينئذ تعوّل عليها، وإلا فلا، و كما هو مقرر في علم أصول الفقه بأن العلم تدور مع الحكم وجوداً وعدماً فهذه القضايا لم يشر الأستاذ المؤلف إليها في دراسته. واختلاف مواقف علماء البوسنة فيما بينهم تجاه هذه القضايا الراهنة في عصرهم، فيه دليل على اختلاف اجتهاداتهم وثقافتهم، واهتمامهم بالقضايا السياسية والاقتصادية، وأنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي. فالوقوف على منصب الإفتاء ليس بالأمر الهين، ولا يصلح له عامة الناس، لا بد له من شروط و ضوابط و مؤهلات علمية وثقافية وفكرية. فكما هو واضح للقارئ من أن هناك فرق بين المفتي والقاضي والمفكر والقائد. فالمسائل والقضايا الدينية رغم مناقشة المؤلف لها، إلا أنها لم تبسط بسطاً شرعياً كافياً.

فمثلاً استدلال أحد علماء البوسنة المعاصرين وهو الأستاذ الدكتور سليمان توبولياك، بقوله تعالى في سورة الأنفال : (**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباطِ الخيلِ تُرهبون به عدوّ اللهِ و عدوّكم**..)، الآية : ٦٠، فقد ذكر المؤلف أن الكاتب المذكور استدل بتلك الآية عى جواز الخدمة العسكرية للكفار في ظل الحكومة الكافرة. والذي يبدو لي انه ليس فيها إشارة إلى جواز الخدمة العسكرية في ظل الحكومة الكافرة. والعكس هو الصحيح، في هذه الآية أمر إلهي لإعداد القوة لمحاربة أعدائه وأعداء رسوله في كل زمان ومكان. ولا أدري كيف استدل ذلك الباحث الفاضل بهذه الآية، ومؤلف الكتاب حفظه الله لم يشر إلى هذه الحقيقة.

قد يكون هناك خطأ في الاستدلال بالآية. فالآية التي تلي الآية السابقة وهي قوله تعالى: (**و أن جنحوا للسّلم فاجنحْ لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم**)، الأنفال : ٦١. ففي هذه الآية فيها دلالة بعيدة وقد يُفهم منها شيء من ذلك الرأي الذي ذهب إليه ذلك المؤلف، لأن الآية في معرض الحديث عن السلام أو السلم بين الأعداء والمسلمين.

و ما ذهب إليه الأستاذ الفاضل الدكتور سليمان توبولياك من أن : ".. الخدمة العسكرية أو الاجتماعية في ظل الحكومة الكافرة في مثل هذه الظروف بنية طيبة ومخلصة، أمر مسموح وجائز، بل هو واجب شرعي أيضاً .." ! [٨].

أقول: إن إطلاق مثل هذه الفتاوى دون بيان أضرار الحكومة الكافرة على المسلمين، هل هي تمارس الظلم في حق المسلمين أم لا ؟ هل هي تعترف بحقوقهم الدينية أو الإجتماعية أو السياسية أم لا..الخ. فمثل هذه الأسئلة وغيرها كان من الواجب على الأستاذ المؤلف حفظه الله أن يطرحها على ذلك الباحث وأن لا يكتفي بنقل كلامه فقط، والله أعلم.

وفي المقابل نجد الأستاذ المؤلف حفظه الله قد ذكر كلام أحد المفكرين من الهند، وهو الكاتب المفكر عبد الرحمن دُويٍْ، الذي قال: ".. إن الأقليات المسلمة الذين يعيشون في الدول الكافرة عليهم أن يكونوا مواطنين أمناء وأوفياء تجاه الحكومة التي يعشون في ظلها وأن يؤيدوها بكل التأييد وإن قاتلت وحاربت هذه الحكومة الكافرة المسلمين.."!! [٩] .

فلا شك أن مثل هذه الآراء هي أراء محرفة ومتطرفة وبعيدة عن جادة الإسلام ووسطية القرآن، ولا شك أنها تخدم مصالح الاستعمار والمحتل أينما وجدوا وفي أي عصر كانوا. هذه الفتاوى هي قرة عين هؤلاء المحتلين والمستعمرين في كل زمان ومكان، و الله أعلم.

مثل هذه الآراء يبدو لي أنها بعيدة كل البعد عن هدي القرآن الكريم وهدي السنة النبوية، وكما ذكر أهل العلم أنه إذا ما ضاقت على المسلمين سبل العيش أو التعايش مع الكافرين في ظل الحكومة الكافرة المسلمين واشتد ضيم الكافرين عليهم؛ فالهجرة واجبة في حقهم، ولا يجوز لهم في حال من الأحوال أن يوالوا الكافرين، فضلاً عن أن يخدموهم في أمور لا تحمد عقباها، وإلا فلماذا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ومن مكة إلى الحبشة ؟ هل قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: عليكم السمع والطاعة لصناديد الكفر في مكة!؟ أو أنه صلى الله عليه و سلم قال لهم لا يجوز لكم التخلي عن وطنكم الغالي مكة !! أو أن عليكم أن تناصروا قريشاً و أن تؤازروهم ضد المسلمين، الذين كانوا

---

٨ أنظر : **البوسنيون و تحديات الحداثة**..، ص ١٢٣

٩ المرجع السابق، والصفحة نفسها

هم أيضاً من الأقليات في السنوات الأولى من الدعوة في المرحلة المكية !!؟ يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:(**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلاً. فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفواً غفوراً**) النساء :٩٧-٩٩ .

أمنيتي من المؤلف الاستاذ حفظه الله أن يعيد النظر في هذه القضايا مرة أخرى وأن يلحق تلك الإضافات والإصلاحات في الطبعات القادمة للكتاب، والله أعلم.

أما عن فتاوى وآراء علماء البوسنة السابقين مثل: الشيخ محمد توفيق آزاباغتش والشيخ مصطفى حلمي حاج عمروتش *Mustafa Hilmi Hadziomerovic,* *Mehmed Tewfik Azapagic* حول هذه القضية فإنها اتسمت بشيء من الموضوعية والجدية أكثر بكثير، وأنهم لم يصرحوا مثل ما صرح به هؤلاء المتاخرون من مفكري البوسنة والهند. إن المتقدمين من علماء البوسنة كانوا أشد حرصاً وأكثر تمسكاً على دينهم ولم يقدموا تنازلات كثيرة عن حقوقهم الدينية أو الوطنية. بينما تجد بعض المتأخرين منهم ومن غيرهم أيضاً في الدول الأخرى تنازلوا كثيراً من حقوقهم في سبيل إرضاء الحكومات الكافرة على حساب الإسلام والمسلمين، والله أعلم.

أما رأي الشيخ المفتي محمد توفيق آزاباغتش، الذي قال بأن الهجرة في هذه الأيام لا يمكن مقارنتها بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم حسب رأيه عرفوا بأنهم سيعودون إلى مكة المكرمة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فاتحين لها فيما بعد، وبالتالي لن يخسروا وطنهم. أما اليوم فإذا هاجر المسلمون من أراضي البوسنة وتركوا أوطانهم فلن يعودوا إلى وطنهم للأبد، وإنما سيستوطنون في البلاد التي هاجروا إليها، وبالتالي سيتفرغ الوطن للعدو و المحتل أو المستعمر.!؟

أقول؛ إن الفتوى التي تقدمت يمكن أن تعتبر فرضية وليس علماً يقينياً يفيد القطع واليقين بأنهم لن يعودوا إلى أوطانهم أبداً. فالذي يبدو لي في هذه المسألة هو خلاف ما ذهب إليه ذلك المفتي المحترم، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً كما هو معلوم في علم أصول

الفقه. فإذا وجدت تداعيات وأسباب الهجرة فتحنا باب الهجرة للمسلمين وأجزنا لهم ذلك، فإذا انتفت تداعياتها وانتفت أسبابها منعنا الهجرة وأغلقنا بابها، والله أعلم.

هذه الطريقة وهذا المنهج في التعامل مع القضايا التاريخية ندعو إلى تغييره، وعلينا أن لا ندرس التاريخ أنه مجرد أحداث متراكمة مرت، وإنما الذي نراه صواباً ونذهب إليه في هذه المسألة هو ما دعا إليه الأستاذ سيد قطب رحمه الله وغيره من العلماء والباحثين إلى أن نسلك منهج التفسير الإسلامي للتاريخ، إذا ما أردنا فهم الأحداث فهماً يليق بالمنطق السليم وبمنهج الإسلام. إن المنهج الجغرافي والبيولوجي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي والسياسي تفشل فشلاً ذريعاً وتعجز كل العجز عن تفسير صحيح للتاريخ.. [١٠] .

المبحث الخامس: النقد الخارجي للكتاب

فإذا ما أردنا أن نجري مقارنة بين هذا الكتاب الذي بين أيدينا بكتاب آخر الذي تناول مؤلفه تقريباً الموضوعات ذاتها، فإننا سنرى الفرق بين الإثنين واضحاً جلياً.

فمثلاً عنوان الكتاب الثاني هو: (Islam and the Modern Muslim World, Golam W. Choudhury)

(**الإسلام و العالم الإسلامي الحديث**)، للمؤلف: غلام شوضوري فإننا سنرى المؤلف الثاني كان أكثر توسعاً من الناحية الدينية في مناقشته لقضايا الحداثة على المستوى المحلي والعالمي. بينما نرى المؤلف الأستاذ الدكتور فكرت حفظه الله قد ناقش الموضوعات وقضايا الحداثة من الناحية المحلية المتعلقة بالبوسنة والهرسك فقط. وإن نظرة عابرة في موضوعات الكتاب الثاني تجعلنا أن ندرك حقيقة الكلام الذي أشرنا إليه. فقد ناقش المؤلف الثاني:

موضوع مبادئ الإسلام، ونظام السياسة في الإسلام، بداية النظام الإسلامي، الإسلام في المجتمعات الحديثة، الإسلام في المجتمعات غير العربية، نحو تحقيق دولة مثالية غير عربية –

١٠ أنظر: الجندي، أنور : **تصحيح أكبر خطأ في التاريخ الإسلامي – السلطان عبد الحميد الثاني و الخلافة الإسلامية**(القاهرة: دار الكتب السلفية، ط١، ١٤٠٧ هـ)، ص ٧

ماليزيا، النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية – العالمية، صحوة الإسلام، الأصوليون الإسلاميون: هل الإسلام يشكل خطراً للسلام العالمي.

وفي الختام أود أن أعبر عن خالص شكري وتقديري البالغ لأستاذي و مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور فكرت كارتشش الذي سمح لي بالقيام و شرفني بهذا التكليف وبهذه الدراسة النقدية لكتابه القيم و أنا لست أهلاً لذلك، والله المستعان. إن أستاذي حفظه الله بهذا التصرف و بهذا التشريف لقراءة كتابه من تلميذه القاصر قد أثبت إخلاصه وتواضعه وإيمانه في قبول الملاحظات والنقد البناء لكتابه. وهذا المسلك هو مسلك العلماء و الربانيين من العلماء، وهو المنهج الإسلامي الصحيح الذي يجب أن يسير عليه كل باحث و كل كاتب، متمثلين وقول سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: رحم الله امرأ اهدى إلي عيوب نفسي. ويعلم الله، والله؛ لقد استفدت وتعلمت من هذا الكتاب الشيء الكثير كانت تخفى علي شخصياً، لأن الكتاب كما أكدنا وما زلنا نؤكد أنه قد كتب من قبل أستاذ وعالم بتاريخ الشعب البوسني المسلم الشجاع، و من قبل كاتب عصري ذو تجربة طويلة.

أسأل الله عز وجل أن يجزي أستاذي ومشرف مؤلف الكتاب خير الجزاء، وأن يوفقنا جميعاً لخدمة دينه وكتابه وعباده المؤمنين، إنه تعالى سميع قريب مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة – ١٤٢٩/١١/٢٥ هـ